المحاضرة الخامسة :

الصورولوجيا (صورة الآخر)

أ.م.د. علي مجيد البديري
جامعة البصرة / كلية الآداب

٦ـ الصورولوجيا ***Imagologie*** أو الصوراتية أو صورة الآخر: وتعني دراسة صورة بلد أو أمة في أدب أمة أخرى أو لدى أديب آخر، ويعرفها دانييل ـ هنري باجو بأنَّها ((كل صورة تنبثق عن إحساس، مهما كان ضئيلاً (بالأنا) بالمقارنة مع الآخر،(وبهنا) بالمقارنة مع مكان آخر.... [فهي] تعبيرٌ، أدبي أو غير أدبي، عن انزياحٍ ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثقافي))[١].وهو ما يعني ارتباط صورة الآخر في الأدب بوعيٍ الذات بها، بل هي عبارة عن صورة وعي الأنا بالآخر، مثل أن ندرس صورة الغرب في الرواية العربية، أو صورة الشرق في أدب غوته، أو صورة لندن في الأدب العربي الحديث.

وتدرس صورة الأجنبي على أنها إعادة تشكيل للواقع بعين الفن ، فالصورة هنا ليست نقلاً حرفياً، تسجيلياً للواقع، بل هي صورة وعي بالواقع، ورؤية عنه، لذا يجب أن يميز الباحث في دراسته للصورة بين بُعديها: الواقعي والفني. وهنا يكون الباحث أمام واقع ثقافي أعيد تشكيله، ويكتشف من خلال صورة هذا الواقع الكيفية التي ينظر على وفقها مجتمع ما إلى نفسه، أو الكيفية التي يفكر بها بالآخر ويتأمله، فصورة الأجنبي يمكن أن تكشف عن مكونات (الثقافة الناظرة)، التي يصعب في كثير من الأحيان التعبير عنها أو تخيلها، ويمكنها كذلك أن تنقل ـ بوصفها (ثقافة منظورة) ـ حقائق عن الآخر.

يجب الالتفات إلى أن من مكونات الصورة: العناصر التي تتكشف فيها تعبيرات الآخر وملامح حياته وطبيعة علاقاته الاجتماعية، ويتكفل الوصف في تشكيل هذه الصورة، مما يقدم صورة دقيقة للآخر، على أن دارس الصورة يجب عليه أن ينتبه للفضاء الزمني ضمن النص نفسه، فمن شأن الصورة ـ عادة ـ أن تتحول ملامحها وتتغير، بتأثير من سياقها الثقافي الذي تتشكل فيه، وهذا ما سيحتم على الدارس التمييز بين الزمن الواقعي والمتخيل في النص، لكي لا يقع الخلط في دراسة بعدي الصورة الواقعي والفني. [٢]

---

(١) الأدب العام والمقارن: دانييل ـ هنري باجو، تر: د. غسان السيد، إتحاد الكتاب العرب ـ دمشق، ١٩٩٧: ٩١

(٢) ينظر : صورة الآخر في التراث العربي : د. ماجدة حمود، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات الاختلاف ـ بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠ :٢٣، ٢٤

ومن الأمور التي يعتنى بها في دراسة صورة الأجنبي، هي الكشف عن مصادر هذه الصورة فهي قد لا تستند إلى التجربة والمعرفة والاحاطة بأوضاع ذلك المجتمع، وكثيراً ما تكون الأسفار والإقامات المؤقتة مصدراً لهذه الصورة ، وفي أحيان أخرى ترتكز إلى مطالعات الأديب أو إلى مشاهداته لأفلام وثائقية عن حياة الأجنبي أو لأخبار سمعها، مثل الأديب الألماني غوته، الذي اعتمد على كتاب (ألف ليلة وليلة) والشعر العربي القديم والقرآن الكريم في كتابته عن الشرق، وهنا ستستند الصورة بشكل كبير إلى مخيلة الأديب، لا على معرفته ورؤيته المباشرة.[٣]وتتطلب دراسة صورة الآخر من المقارن أن يحقق توازناً في عمله، بين العناية بما هو تاريخي وما هو جمالي في الصورة الأدبية، وعليه أن يلتفت إلى أن صورة الآخر لدى الأديب قد تعكس ـ في بعض الأحيان ـ حاجته ورغبته في الهروب من واقع بائس يعيشه في مجتمعه ووطنه، أو قد يسعى الأديب إلى تلبية حاجة المتلقي لذلك. وقد ترتكز ملامح الصورة إلى تناقض حضاري أو تأزم سياسي بين بلد الأديب أو أمته، وبين بلد أو أمة أجنبية ما، ومثال ذلك صورة العرب أو الاسلام في آثار الأدباء الغربيين .[٤]

(٣) ينظر :الأدب المقارن ، مدخل نظري ودراسات تطبيقية : د. عبده عبود، جامعة البعث ـ مديرية الكتب والمطبوعات، ١٩٩١ـ١٩٩٢. ٣٧٤

(٤) ينظر : الأدب المقارن ، مدخل نظري ودراسات تطبيقية : ٣٧٤ ـ ٣٧٧